الباب السادس

المسلم يُقبل على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ قارئًا ومتعبدًا ودارسًا وحافظًا.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
القرآن الكريم هداية الله للعالمين

تقديم :

خلق الله الإنسان وكلّفه عمارة الأرض والنزول على حكمه فى كلّ شؤون حياته.

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات].

وشرح له حكمه فى وحيه المُنزَّل على الأنبياء والمرسلين، وجمع خلاصة هذا الوحى فى الذكر الذى أنزله على نبيّه ورسوله محمد ﷺ كتابًا وسنّة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

وقال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ [المائدة].

وحتى يُقبل المسلم على هذا الوحى قراءةً وتعبدًا، ودراسةً، وحفظًا، وبلاغًا، وحمايةً من عدوان المعتدين، كان لزامًا أن يعرف ماهيته، وجوانب هدايته على النحو التالى :

أولا : تعريف القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله المُنزَّل على محمد ﷺ باللسان العربى بلفظه ومعناه بواسطة جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر كتابةً وحفظًا، المتَعبَّد بتلاوته، المعجِزُ بلفظه ومعناه، المصدِّق للكتب السماوية السابقة قبل أن يُصيبها التحريف، المهيمن عليها، الجامع خير الدنيا والآخرة، الذى تكفّل الله حفظه فقال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر].

ثانيًا : أهم جوانب الهداية فى القرآن الكريم :

وجوانب الهداية فى القرآن الكريم كثيرة وأهمّها :

١ ـ تصديق الكتب السماوية السابقة الصحيحة : ليقوى إيماننا بهذه الكتب وبالرسل الذين أُنزلَت عليهم هذه الكتب، كما قال سبحانه:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣] .

٢ ـ لَفتُ النظر إلى عُـلوِّ مكانة الكتب السماوية السابقة قبل أن يُصيبها ما أصابها من تحريف وتغيير لنزداد احترامًا وتوقيرًا لهذه الكتب، كما قال سبحانه:

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة] .

٣ ـ لفت النظر إلى ما أصاب الكتب السماوية السابقة من إخفاء وتحريف لنكون على بيّنة مما يصل إلينا من محتوى ومضمون هذه الكتب، فنُطبّق ما أرشدنا إليه النبى ﷺ فى التعامل مع هذه الكتب بأن نُصدّق ما وافق كتاب الله ، ونُكذّب ما خالفه، ونختار المناسب فيما سكت عنه.

قال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة : ١٥] .

٤ ـ وضع العظة والعبرة وزاد الطريق بين أيدينا ، بل تثبيت القلوب من خلال القصص القرآنى.

قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] .

٥ ـ تعريف الناس بخالقهم وما له من صفات الكمال والجلال، وكذلك بالعاقبة والمصير ودورهم ورسالتهم فى الأرض.

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ [الروم] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات] .

٦ ـ تعريف الناس بما لهم وما عليهم نحو ربِّهم، ونحو دينهم، ونحو أنفسهم، ونحو غيرهم من : الآباء ، والأولاد ، والأهل ، والأرحام ، والأصدقاء ، والأعداء، والجيران، بل نحو باقي المخلوقات من: الملائكة، والجن، والشياطين، والدواب، والطير، وغيرها، ليهلك مَنْ هَلَكَ عن بينه ويحيى مَنْ حَيَّ عن بيّنة .

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] .

٧ ـ بيان جزاء من تبع هدى الله . وعقاب من أعرض عن ذلك .

قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ(١٢٧)﴾ [طـه] .

٨ ـ تعريف الناس بأعدائهم من الجنِّ والإنس ، وأمثل الطرق للتعامل مع هؤلاء الأعداء .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)﴾ [الزخرف] .

٩ ـ مداواة النفوس مِمّا يُصيبها من أمراض ، وأجمعها ـ كما يقول ابن تيمية رحمه الله ـ مرضا الشبهات والشهوات، حيث يمرض الشبهات التى يثيرها شياطين الإنس والجن، ويُجيب عليها شبهة شبهة، ويُبيّن أصناف الشهوات، ومخاطرها، وسُبل التغلب عليها واحدة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]

وعلى سبيل المثال يجيب عن شبهة: مادام الله حيًّا لا يموت فلم لا نراه؟ بقوله سبحانه:

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

ويُبيّن خطر الخمر، وينهى عنه بقوله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

١٠ ـ بيان حاجة الناس إلى الرسل والرسالات، بقوله سبحانه:

﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة].

ومن عدل الله تعالى أنَّه لا يُعذّب قومًا حتى يبحث لهم رسولا، قال سبحانه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾﴾ [طه].

١١ ـ تزكية النفوس، وزيادة الإيمان في القلوب، كما قال سبحانه:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾

[الزمر: ٢٣]

١٢ ـ بيان خصائص هذه الأمة من أنها خير الأمم، وأنها الشاهد على العالمين.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

١٣ ـ وأن هذا القرآن فى ضوء ما تقدّم وغيره مُنزّل من عند الخالق ، وليس لأىّ مخلوق أثر فيه.

قال تعالى : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ [الشعراء] .

والواجب حينئذ هو الاستمساك بهذا الكتاب وعدم الرضا بغيره بديلا، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)﴾ [الزخرف] .

وقال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

* * *

الفصل الثانى
السنة النبوية صنو القرآن

تقديم :

مضى أن الوحى المُنزّل من عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يشمل المكتاب والسنَّة لقوله ﷺ :

«ألا إنى أوتيتُ الكتاب ومثله معه. . .» (١) .

ولذلك كانت صنو القرآن، يعنى: نظيره ومثله، وحتى يعطيها المسلم حقها من الاتباع بكل أشكاله وصوره لزم التعرف على ماهيّتها ومنزلتها من التشريع عمومًا، ومن القرآن على وجه الخصوص، وأهم جوانب الهداية فيها، وذلك على النحو التالى :

أولا : تعريف السُّنَّة النبوية :

لُغةً : تطلق السُّنَّة لغة على السيرة، والعادة،والطريقة مطلقًا، سواء أكانت محمودة أم مذمومة(٢) .

اصطلاحًا : أقواله ﷺ وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخَلْقية، والخُلُقية، وكل ما يتصل بحياته ﷺ سواء أكان قبل البعثة أم بعدها.

شرح التعريف :

أقواله : كلُّ ما تلفظ به ﷺ فى سائر الظروف والمناسبات مثل قوله ﷺ :

«بُنى الإسلام على خمس. . .» الحديث (٣) .

وقوله : « المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه» (٤) ، وغير ذلك من الأقوال.

---

(١) أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب السنة: باب فى لزوم السنة ٥/ ١٠ رقم ٤٦٠٤ من حديث المقدام بن معد يكرب مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٤٥٦ بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب دعاؤكم وإيمانكم ١/ ٩ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الإيمان : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/ ٩ .

أفعاله : تطبيقه ﷺ للقرآن، فقد كان القرآن ـ كما قالت عائشة رضي الله عنها ـ خُلقَه، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه [1] .

ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن مالك بن بُحَيْنةَ: أن النبى ﷺ كان إذا صلى فرَّج بين يديه حتى يبدو بياض إبطه[2] .

وما جاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلى على راحلته حيث توجهتْ، فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة [3]، وغير ذلك من الأفعال.

صفاته الخَلْقية: كونه ﷺ كان عظيم الهامة، رَبْعة، أزهر اللون.. وهكذا.

صفاته الخُلُقية: كونه ﷺ كان لا ينتقم لنفسه قط، فإذا انتُهِكَتْ حُرمات الله انتقم.. وهكذا.

تقريراته : ما يفعله الصحابة فى غيابه ﷺ أو فى حضرته، ويطلع عليه ويسكت أو يبدى إعجابًا، واستحسانًا.

ثانيًا : منزلة السنة النبوية :

ومنزلة السنة النبوية : أنها مصدر أصيل من مصادر التشريع الإسلامى أوحاها الله إلى النبىِّ كما أوحى إليه القران، فقال سبحانه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم] .

وقال ﷺ : «ألا إنى أوتيتُ الكتاب ومثله معه...» الحديث [4] .

ويجب اتباعها كما يجب اتباع القرآن، إذ يقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ويقول جل شأنه : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور] .

وغير ذلك من الآيات كثير.

---

(١) الحديث أورده السيوطى فى: الدر المنثور ٨/ ٢٤٣ من حديث أبى الدرداء نقلا عن ابن المنذر وغيره.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الصلاة: باب يبدى ضبعيه ويجافى فى السجود ١/ ١٠٨.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الصلاة: باب التوجه نحو القبلة حيث كان ١/ ١١٠.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب السنة : باب فى لزوم السنة ٥/ ١٠ برقم ٦٠٤ .

وهى تفسِّر القرآن بتفصيل مجمله، وتوضيح مشكله، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامِّه، وبيان سبب نزول، ومنسوخه. . . . وهكذا.

فقد قال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [البقرة: ٤٣ ، والنور: ٥٦] .

وتَرَكَ بيان أوقاتها، وشروط صحتها، وفرائضها، وسننها، وهيئاتها ونحو ذلك إلى النبى ﷺ، ومثل ذلك الزكاة، والحج. . . ونحوها، وهى تؤكد ما فى القرآن مثل قوله ﷺ :

«إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته» (١) .

فإن هذه تؤكد قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(١٠٢)﴾ [هود] .

وهى تأتى بأحكام جديدة ليست فى القرآن انطلاقًا من قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، والجمع بين العمة وبنت أخيها، وبين الخالة وبنت أختها، ومثل وجوب قتل المرتد، ونحو ذلك من الأحكام.

ثالثًا : حجيـة السنة النبوية :

والسنة النبوية حجة فى دين الله يجب اتباعها، والنزول على حكمها، وإن خالف ذلك هوى النفس.

قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

وقال تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء] .

وقال تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] .

وقال تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب التفسير: سورة هود: باب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة. . . ٦/ ٩٣ ـ ٩٤ من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعًا به.

وقال ﷺ : «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنه مَنْ يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا. . .»[1] .

وقال أيضًا : «مَنْ أحدَثَ فى أمْرِنَا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» [2] .

وقال كذلك: «كُل أمتى يدخلون الجنَّة إلا مَنْ أبى»، قالوا: يا رسول الله، وَمَنْ يأبى؟ قال: «مَنْ أطاعنى دخل الجنة، وَمَنْ عصانى فقد أبى» [3] .

على أن النبى ﷺ قد حمل القرآن للناس من عند ربه، وقد أوجب الله له العصمة بقوله تعالى :

﴿وما ينطقُ عنِ الْهوىٰ ۝٣ إنْ هُو إلاَّ وحْىٌ يُوحىٰ ۝٤﴾ [النجم] .

فكان له كذلك مهمة البيان عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حتى قال الله تبارك وتعالى :

﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنْهُ فانتهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

وقال تعالى: ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿وما أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]

رابعًا : أهم الجهود التى بذلها العلماء فى صيانة السُّنَّة ونشرها بين الناس:

وقد بذل العلماء جهودًا ضخمة فى صيانة السُّنَّة ونشرها بين الناس، وأهمها:

١ ـ الحفظ فى الصدور :

لقد حرص الصحابة على حفظ كلِّ ما كان يصدر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، بل حتى الصفات الخَلقية والخُلقية التى كان عليها وعوها وحفظوها وبلَّغوها لتلاميذهم، وهكذا كل جيل كان يُحفظ ويُبلغ بقدر ما أتيح له من الحفظ والبلاغ، وقد حبا الله تعالى العرب بملكة حفظ عجيبة.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب السنة: باب فى لزوم السنة ٥/ ١٣ ـ ١٥ برقم ٤٦٠٧ من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٣/ ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤ برقم ١٧١٨ / ١٧ ـ ١٨ من حديث عائشة مرفوعا به.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى الصحيح. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ١١٤ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

٢ ـ الاعتماد فى نقل السنَّة على الإسناد :

فقد كان الصحابة ملازمين رسول الله ﷺ ينقلون عنه كلَّ ما يسمعون وما يشاهدون، ومَنْ لم يكن ملازمًا له ﷺ لاشتغاله بشؤون المعاش سمع ممَّن كان ملازمًا له، وجاءت الفتوحات الإسلامية، وتفرّق الصحابة فى الأمصار غزاة، أو قضاة، أو ولاة، أو معلِّمين، ومؤدِّبين، فنشر كلُّ واحدٍ منهم فى ناحيته، وبالبلد الذى كان به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ وحكموا بحكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأمضوا الأمور على سنن رسول الله ﷺ وأفتوا فيما سُئلوا عنه ممَّا حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل، متجردين من حظوظ أنفسهم مع حسن النية، والطمع فى القرب من الله ـ عز وجل.

وقيَّض الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم مَنْ حفظ عنهم ما نشروه، وبثوه من الأحكام، والسُّنن، والآثار، حفظًا متقنًا مع الفقه التام، والوعى الدقيق، ومضت الأمور على هذه الحال لا مجال فيها لكذب أو شك، حتى وقعت الفتنة التى انتهت بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وظهور الفِرق التى تؤيد عليًا أو معاوية أو غيرهما من الصحابة، أو ترفض الجميع، وتخرج عليهم من: الشيعة، والرافضة، والنَّاصبة، والبكرية، والعباسية، والخوارج، وغيرها، واعتماد كلُّ فرقة فى تأييد دعواها على السُّنة حيث لم يسعفها القرآن، وشيوع الكذب والوضع فى الحديث.

وهنا رأى الغيورون من أبناء الأمة: البقية الباقية من الصحابة، ثم التابعون، وتابعوهم بإحسان مواجهة هذا الخطر الداهم فَدَعَوا إلى إبراز الإسناد، والالتزام به لمعرفة مَنْ تقبل روايته، ومَنْ لا تُقبل، قال محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) : «إن هذا العلم دين، فانظروا عَمَّنْ تأخذونه»[١] .

وقال أيضًا : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يُؤخَذ حديثهم»[٢] .

وعدوا الإسناد من الدين حتى قال ابن مبارك : «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٣] .

---

(١) انظر: مقدمة صحيح مسلم: باب بيان أن الإسناد من الدين ١/ ١٤ .

(٢ ، ٣) انظر: مقدمة صحيح مسلم: باب بيان أن الإسناد من الدين ١/ ١٥ .

واستجاب نقلة السنة إلى هذه الدعوات حتى برزت السنن مسندة فى الدواوين والمصنفات الجامعة للسنن من الصحاح، والمسانيد، ونحوها.

٣ ـ كتابة السنة وتنوع تصنيفها :

وضم العلماء إلى ما تقدم كتابة السنة المأثورة عن رسول الله ﷺ ، فقد كتب الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ عندما زال النهى عن الكتابة بزوال سببه، فكانت الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وكانت الصحيفة الصحيحة ـ لجابر بن عبدالله ـ وكانت صحيفة على رضي الله عنه وكانت صحيفة جابر بن سمرة، وغيرها من الصحف، وكان كتابه ﷺ فى الصدقات ولم يخرجه إلى عماله حتى قبض، فقرنه بسيفه، فعمل به أبو بكر حتى قُبض.

ثم عمل به عمر حتى قُبِض، وكان كتابه ﷺ بين المهاجرين، والأنصار، واليهود، وكانت كُتبه ﷺ إلى الملوك والأمراء، ورؤساء القبائل المجاورين، وكانت كتب أخرى يضيق المقام عن سردها الآن، وتتابعت الكتابة فى التابعين وتابعيهم إلا فئة قليلة آثرت عدم الكتابة لئلا تضعف الذاكرة، وخشية أن يقع الكتاب بعد موتهم فى يد من لا يفهمه فيضل فيصيبهم شىء من الإثم.

ثم كان تدوين الحديث على عهد عمر بن عبد العزيز، بمعنى جمعه فى ديوان واحد، ثم تلا ذلك التصنيف بمعنى جمع النظير إلى نظيره، فكانت المصنفات الحديثية التى تغص بها المكتبة الإسلامية على اختلاف صورها، وتنوع موضوعها، ومن أبرزها: الكتب الستة: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن الترمذى، وسنن النسائى، وسنن ابن ماجه، رديوان الحديث الأكبر مسند أحمد بن حنبل، ومصنف ابن أبى شيبة، وغيرها من الكتب، بالإضافة إلى كتب الرواة، والجرح والتعديل، وغريب الحديث ومشكله، وناسخه ومنسوخه، بحيث يستطيع البصير الناظر فى هذه المكتبة العثور على حاجته فى كل ما يتصل بالسنة النبوية دون أدنى عناء أو تعب.

٤ ـ سؤال أهل الذكر :

وكان من الجهود التى بذلها العلماء فى خدمة السنة النبوية: سؤال أهل الذكر امتثالا لقوله تعالى :

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧] .

وامتثالا لأمره ﷺ لجماعة خرجوا فى سفر، فأصاب رجلا منهم حجرٌ، فشجَّه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك

رخصة، وأنت تقدر على الماء. فاغْتَسَلَ فمات، فلما قدموا على النبى ﷺ وأخبروه بذلك، ، لَخَّص أمره لهم بقوله:

«قَتَلُوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنَّما شفاء العِيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمَّمَ ويعصر، أو يعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده» (١).

فرجع الصحابة إلى النبى ﷺ يسألونه عمَّا يشكل عليهم، ورجع بعضهم إلى بعض فى ذلك، وكذلك رجع التابعون إلى العلماء من الصحابة، ومنهم، وكذلك مَنْ بَعدَهم حتى يومنا هذا، وربما كلفتهم هذه الأسئلة جهودًا ضخمةً من الرحلة، والمال، والغُرْبة، والتعرض لمشاقِّ الطريق، وحسبنا :

ــ رحلة وفد عبد القيس من ربيعة إلى رسول الله ﷺ طالبين منه أن يأمرهم بأمر يعملون به، ويدعون إليه مَنْ وراءهم.

ــ ورحلة ضمام بن ثعلبة وافد بنى سعد بن بكر إلى النبى ﷺ يسأل عن الإسلام.

ــ ورحلة جابر بن عبد الله بن أنيس إلى بلاد الشام من أجل حديث واحد.

ــ ورحلة أبى أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر الجهنى فى مصر من أجل حديث واحد.

ــ ورحلة عبيد الله بن عدىٍّ إلى العراق من أجل حديث واحد.

ــ ورحلات الزهرى، والأوزاعى. وابن المبارك، وأبى حنيفة، والشافعى، وأحمد ابن حنبل، والبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وغيرهم، وغيرهم كثير.

ومَنْ لم يتمكن منهم من الرحلة لسبب أو لآخر كان يكتب إلى العلماء بحاجته فيأتيه الجواب من هؤلاء العلماء، حسبنا ما جاء عن ابن أبى مليكة قال:

«كتبتُ إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابًا، ويخفى عنِّى، فقال: ولدٌ ناصح

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن: كتاب الطهارة: باب فى المجروح يتيمَّم ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ٣٣٦ من حديث جابر بن عبدالله، ورقم ٣٣٧ من حديث ابن عباس.

أن اختار له الأمور اختياراً وأخفى عنه، قال: فدعا بقضاء عليٍّ فجعل يكتب منه أشياء، ويمر به الشيء فيقول: ما قضى بهذا عليٌّ إلا أن يكون ضلَّ»[1].

٥ ـ إنشاء المراكز العلمية لتعليم وتدريس الحديث :

كمدرسة الحديث في مكة، ومدرسة الحديث في المدينة، ومدرسة الحديث في الشام، ومدرسة الحديث في مصر، ومدرسة الحديث في اليمن، ومدرسة الحديث في الكوفة، ومدرسة الحديث في البصرة، ثم كان التوسّع في هذه المراكز حتى صار في كلّ بلدٍ أكثر من مركز أو مدرسة.

٦ ـ بيان حال الرواة والمرويات قبولا وردّاً :

ظهر الاهتمام ببيان حال الرواة والمرويات قبولا وردّاً منذ عصر الصحابة عن سعيد ابن جبير قال: قلتُ لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس صاحب الخضر، فقال: كذب عدو الله، حدثني أُبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: قام موسى خطيبًا في بني إسرائيل، فقيل: يا نبي الله، هل في الناس أحد هو أعلم منك ؟ فذكر الحديث بطوله[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيتُ الطور، فوجدتُ بها كعب الأحبار فذكره بطوله، فلقيتُ عبد الله بن سلام، فذكرتُ له أني قلتُ لكعب: قال رسول الله ﷺ : «إن في الجمعة ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه»، فقال: ذاك يومًا في كلّ سنة، فقال عبدالله بن سلام: كذب كعب، ثم ذكر الحديث إلى آخره [3] . ولم يكن الكذب آنذاك يعني سوى الخطأ.

وتتابع الأمر حين ظهر الكذب بعد سنة أربعين من الهجرة، وأخذ يتوسع شيئًا فشيئًا، حتى لم يعد هناك راوٍ، ولا رواية إلا والأمر فيها واضح تمام الوضوح، بَيِّنٌ أعظم البيان، من خلال الكتب والرسائل الحديثية التي تعج بها المكتبة الإسلامية الآن.

٧ ـ وضع القواعد لمعرفة المقبول والمردود :

ولم يكتف العلماء بما ذكر آنفًا، بل وضعوا القواعد التي تساعد على معرفة المقبول

---

(١) انظر: مقدمة صحيح مسلم: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١/ ١٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب العلم: باب ما يستحب إذا سئل أيُّ الناس أعلم.. ١/ ٤١ ـ ٤٢ .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في : السنن : كتاب الجمعة : باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ١/ ٥٣٩ ـ ٥٤١ رقم ١٧٥٣ / ٦ .

والمردود، من (اتصال السند) أى: سماع كل راوٍ الحديث من شيخه حتى ينتهى الأمر على هذه الحال إلى النبىِّ ﷺ، و(عدالة الرواة) يعنى : متانة دينهم، و(ضبطهم) يعنى: احتفاظهم بما يسمعون فى الذاكرة أو فى الصحف أو فيهما معًا حتى يؤدوه للغير، و(السلامة من الشذوذ) أى: التعارض الحقيقى الذى لا يمكن معه التوفيق والتأليف، و(السلامة من العلة القادحة) أى: السبب الخفى الذى يقدح فى صحة الحديث، مع أن ظاهره السلامة منها، مثل الانقطاع الذى ظاهره الوصل، والوقف الذى ظاهره الرفع، وهكذا.

وتبعًا لذلك نشأ علم مصطلح الحديث، أو أصول الحديث، أو علوم الحديث التى بلغت عند بعض العلماء كالحافظ جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ الذى قال فى كتابه «تدريب الراوى» : إنها نحو المائة.

ويستطيع مَنْ يستوعب هذا العلم أن يطبق قواعده على كل راوٍ، وكل راوية، فيستبين له المقبول من المردود.

٨ ـ تيسير سبيل الوصول إلى السُّنن مع الحكم عليها :

وحين اتسعت دواوين الحديث، وتنوعتْ طرائق التصنيف فيها، وصعب على المسلم العادى، بل الذى أخذ حظًا من العلم الوصول إلى مكان الحديث من ديوانه، فضلا عن الحكم عليه، فكيف بمن فترتْ همته وضعفتْ عزيمته ؟

لذا فكَّروا فى طرائق تُيسِّرُ سبيل الوصول إلى السُّنن من دواوينها والحكم عليها، فعملوا نظام الفهارس سواء على أسماء الرواة أم على الموضوع أم عليهما معًا، ونشأ علم قائم بذاته يُعرف بعلم التخريج، وهو: عزو الحديث إلى مَنْ ذكره من الأئمة فى دواوينهم من: الجوامع، والمصنفات، والمسانيد، والمعاجم، والمستخرجات، والمستدركات، والسُّنن، والموطآت، والمشيخات، والأجزاء، والفوائد، والأمالى، والغرائب، ونحوها، مع جميع أسانيده التى روى بها، ودراسته من ناحية لفظه ورواته للحكم عليه بالقبول أو الرد.

٩ ـ شرح السنة وبيان فقهها :

وتيسيرًا على المسلمين سبيل الانتفاع بالسنن فى كل شأن من شؤون حياتهم انتفاعًا صحيحًا، كان شرح السنة وبيان فقهها فى طائفة من الشروح تفوق الحصر، ومن أبرزها: فتح البارى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ،

والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووى ت ٦٧٦هـ، وعون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق العظيم آبادى، وتحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للحافظ المباركفورى ت ١٣٥٣هـ ، وزهر الربا على المجتبى للحافظ جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ، وحاشية السِّندى على سنن ابن ماجه، وبلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى للشيخ أحمد عبدالرحمن البنَّا المعروف بالساعاتى ت ١٣٧٨هـ، وفيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوى ت ١٠٢٣هـ، وطرح التثريب شرح التقريب للحافظ زين الدين أبى الفضل العراقى ت ٨٠٦هـ، وولده وليِّ الدين أبى زرعة ت ٨٢٦هـ، والتمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر القرطبى ت ٤٦٣هـ، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن على المعروف بالشوكانى ت ١٢٥٠هـ، وسبل السَّلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للصنعانى ت ١١٨٢هـ وغيرها.

١٠ ـ رد الشبهات حول السنة النبوية :

واهتم العلماء كذلك بمتابعة الشبهات التى أثيرت وتثار حول السنة النبوية وعملوا على تفنيدها وردها بمنهج علمى دقيق.

إذ كانت شبهات وردود حول حجية السنة عمومًا، والآحاد على وجه الخصوص، وشبهات وردود حول أشهر دواوينها كصحيح البخارى، وصحيح مسلم، وشبهات وردود حول مشكلها وناسخها ومنسوخها، وشبهات وردود حول أشهر رواتها كأبى هريرة، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعكرمة، والإمام محمد بن مسلم المعروف بالزهرى، ورجاء بن حيوة... وغيرهم، وشبهات وردود حول تدوين الحديث وكتابته، وحول تسرب الإسرائيليات للسنة النبوية، وشبهات وردود حول رواية السنة النبوية بالمعنى... وهكذا.

وبعد.. فإن ما تقدم من جهود العلماء فى خدمة السنة النبوية قليل من كثير، وغيض من فيض، ويمكن الرجوع إلى كتاب : « الحديث والمحدثون » للشيخ محمد أبو زهو، وكتاب: «السنَّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى» للدكتور مصطفى السباعى، وكتاب: «السنة قبل التدوين» للدكتور محمد عجاج الخطيب، وكتاب: «دراسات فى الحديث النبوى» للشيخ محمد مصطفى الأعظمى... وغيرها، للوقوف على الصورة الحقيقية لجهود علماء المسلمين فى خدمة السنة النبوية.

* * *

الفصل الثالث
أفضل سُبل التعامل مع الكتاب والسنة

تقديم :

ظهر مما تقدم منزلة الكتاب والسنة فى حياة المسلم، إذ هما طريق الهداية إلى الحياة الطيبة فى الدنيا، والنجاة والفوز برضوان الله والجنة فى الآخرة.

قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ(٥٣)﴾ [الشورى].

وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغى أن يعرف المسلم أفضل سُبل التعامل مع هذين المصدرين الأساسيين، وذلك على النحو التالى:

أولاً : أفضل سبل التعامل مع كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ :

وتتلخص أفضل سبل التعامل مع كتاب الله عزَّ وجلَّ فى هذه الخطوات:

١ ـ دوام التلاوة مع حُسن الترتيل :

إذ دوام التلاوة مع حُسن الترتيل يعود على المسلم بفوائد عدة منها:

أ ـ زيادة الإيمان، قال تعالى :

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] .

ب ـ لين القلب والجلود والجوارح بطاعة الله تعالى، قال تعالى :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] .

جـ ـ الأجر والثواب، إذ يقول ﷺ كما يروى ابن مسعود: « مَنْ قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها »(١) ، « اقرؤوا القرآن ، فإنَّه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه. . . » الحديث(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذى ٥/ ١٦١ وعقَّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».
(٢) أخرجه مسلم ١ / ٥٥٣ رقم ٨٠٤ / ٢٥٢ .

وأدنى ما يتلوه المسلم من القرآن يوميًا نصف جزء أو جزء، وإن زاد فهو خير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن فى شهر»، قلت: إنى أجد قوة، حتى قال: «فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك»[1].

وينبغى له حتى يتلوه بحسن ترتيل أن يكون عارفًا بما يلى:

أ ـ علم التجويد: وهو العلم الذى يُعرف به كيفية إخراج الحروف من مخارجها على صفاتها المعلومة من المد، والغُنَّة، والإظهار، والإخفاء، والترقيق، والتفخيم، ونحو ذلك[2].

ب ـ القراءات السبع: هى مذهب يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيره فى النطق بالقرآن، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواءٌ أكانت هذه المخالفة فى نطق الحروف أم فى نطق هيئاتها[3].

جـ ـ الأحرف السبعة: أوجه سبعة من الأداء كاختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وكاختلاف الأفعال بين ماضٍ ومضارع وأمر، وكاختلاف وجوه الإعراب، وكالاختلاف بالبدل، وكاختلاف اللهجات من الترقيق والتفخيم والإظهار.. وغير ذلك.

والعلاقة بين القراءات والأحرف السبعة هى علاقة الخاص بالعام، إذ الأحرف السبعة عام، ومنها اختلاف القراءات أو اللهجات، وهو خاص ونزول القرآن على سبعة أحرف إنما هو للتيسير على الناس[4]، لقوله ﷺ: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى على سبعة أحرف»[5]، ملتزمًا آداب التلاوة من:

أ ـ الطهارة ونظافة المكان.

ب ـ الخشوع والسكينة والوقار.

جـ ـ السواك قبل البدء فى التلاوة.

---

(١) أخرجه البخارى ٦/ ٢٤٣.

(٢) انظر: علم تجويد القرآن للشيخ محمد هشام البرهانى ص ١٠.

(٣) انظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ١/ ٤٠٥.

(٤) انظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن، للزرقانى ١/ ١٤٦ بتصرف.

(٥) أخرجه البخارى ٦/ ٢٢٧.

د ـ الاستعاذة في أول التلاوة.

هـ ـ المحافظة على البسملة في مطلع كل سورة سوى سورة براءة.

و ـ تحسين الصوت بالقراءة.

ز ـ الجهر بالقراءة ما لم يكن هناك مضايقة للآخرين.

ح ـ التدبّر وأخذ العظة والعبرة [1].

٢ ـ حفظه كله أو ما تيسّر :

إذ الحفظ يساعد على التلاوة باستمرار، لاسيَّما عند عدم اصطحاب المصحف، فضلا عن كونه يساعد على التدبر، والاتعاظ، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[2].

ولعلَّ مما يُعين على حفظ القرآن:

أ ـ الحفظ من مصحف واحد.

ب ـ تقسيم القدر المراد حفظه إلى مقاطع صغيرة مع تكرار كل مقطع ثلاث مرات على الأقل.

جـ ـ مراجعة ما تم حفظه ولا ينتقل عنه إلى غيره إلا بعد التأكد من جودة المحفوظ.

د ـ المراجعة المستمرة لاسيما في الصلاة.

هـ ـ فهم القدر المراد حفظه مع معرفة وجه الارتباط بينه وبين سابقه ولاحقه.

و ـ التحرّز من المعاصي والسيئات.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

٣ ـ الفقه والتدبر :

وهذا من الأهمية بمكان ، إذ هو الطريق للعمل والتطبيق، قال تعالى :

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص] .

---

(١) انظر : علم تجويد القرآن، للشيخ محمد هشام البرهاني : ٧١ ـ ٧٢ بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي: ٥/ ١٦٢، وعقّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

٤ ـ العمل بما فيه قدر الطاقة والإمكان :

وهذا العمل هو ثمرة طبيعية للتلاوة والحفظ والتدبر، غاية ما هنالك أنه ينبغى تطبيق ما يستطيع المسلم تطبيقه من أحكامه على الفور من الصلاة والزكاة والصيام والحج، والحفاظ على الدماء والأموال والأعراض ونحوها، وأمّا ما لا يستطيع تطبيقه من أحكامه لأنه من اختصاص غيره كتنفيذ الحدود فإنه يوقن بأهمية هذا النوع من الأحكام، ويرشد الآخرين إلى هذه الأهمية مراعيًا فى ذلك الحكمة والموعظة الحسنة، ويرشد إلى أهمية العمل بما فى القرآن الكريم قدر الطاقة والإمكان ما رواه أبو عبد الرحمن السُّلمى بسنده إلى عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود قالا : « كُنّا إذا حفظنا عشر آيات من القرآن لم نتجاوزها حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل، قالا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»(١) .

ثانيًا : أفضل سُبل التعامل مع السُّنَّة النبويَّة :

وتتلخص أفضل سُبل التعامل مع السُّنَّة النبويَّة فى هذه الخطوات:

١ ـ دراسة كتاب أو أكثر فى أصول الحديث :

وذلك للوقوف على العلوم التى لابدَّ منها لدراسة السنة وفقهها ومعرفة محتوى كل علم منها ولو إجمالا ، على أن يكون ذلك على يد أحد العلماء المتبحرين فى هذا الشأن، حمايةً للدارس من الزيغ أو الزلل، إذ الكتاب وحده يوقع المبتدئ فى مهاوى ومفازات لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل، والعلماء هم الموئل والمخرج من ذلك كله.

ومن أبرز الكتب النافعة فى ذلك كتاب: «أصول الحديث: علومه ومصطلحه» للدكتور محمد عجاج الخطيب، أو كتاب: «تبسيط علوم الحديث» للشيخ محمد نجيب المطيعى، أو كتاب: «اختصار علوم الحديث» لابن كثير، وشرحه المسمَّى: «الباعث الحثيث» للشيخ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله .

٢ ـ دوام المطالعة فى دواوينها الصحيحة :

وينبغى البدء بكتاب مثل كتاب : « رياض الصالحين » للإمام النووى ت٦٧٦هـ، وكتاب: « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى، وكتاب «الأربعين النووية» للإمام النووى.

---

(١) سبق تخريجه .

٣ ـ حفظ أصول الإسلام وقواعد التشريع كما نطقت بها السُّنة :

وينبغى كذلك حفظ أصول الإسلام، وقواعد التشريع كما نطقت بها السنة، وقد أضنى العلماء أنفسهم فى انتخاب واختيار الأحاديث التى عليها مدار أصول الإسلام، وقواعد التشريع، ومن أبرز الكتب التى جمعت ذلك: كتاب « الأربعين النووية » للإمام النووى ت ٦٧٦هـ، وشرحه مع الزيادة عليه المسمى : « جامع العلوم والحِكَم » لابن رجب الحنبلى ت ٧٩٤هـ، وكتاب : « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » للشيخ محمد حبيب الشنقيطى، وكتاب: «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: البخارى والمسلم» للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى وغيرها.

٤ ـ قراءة موصولة فى دواوين الحديث :

ويُضَمُّ إلى ما تقدم أن تكون للمسلم قراءات موصولة فى دواوين الحديث الكبيرة، ولو أن يقرأ صحيفة واحدة فى كل يوم، وتكون عنده أشبه بحزب قرآنى يومى، ومن أهم الدواوين التى ينبغى التركيز عليها والعناية بها: «رياض الصالحين» للإمام النووى ت ٦٧٦هـ ، و«فيض القدير» لمحمد المدعو عبد الرؤوف المناوى ت ١٠٢٣هـ ، و«المنتقى من الترغيب والترهيب» للحافظ عبد العظيم المنذرى ت ٦٥٦هـ، عمل الدكتور يوسف القرضاوى، و« المتقى من سنن المصطفى » لابن تيمية الجد، و« بلوغ المرام » من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ ، وتكملُ الفائدةُ لو ضَمَّ القارئ إلى كل كتاب مما تقدم شرحًا له، وما أكثر هذه الشروح.

٥ ـ حمل النفس على الالتزام بكل سنة تُعْلَم مع اتقاء البدعة :

ويتوِّجُ المسلم كلَّ ما تقدَّم بحمل نفسه على الالتزام بكلِّ سُنة تُعْلَم، مع اتقاء البدعة، فإن بركة العلم تكمن فى الالتزام به، واتقاء البدعة، وحسبنا قول اللـه ـ عزَّ وجلَّ :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] .

وقوله ـ سبحانه : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء] .

وما تقدم من قوله ﷺ : «... فعليكم بِسُنَّتى وسُنَّة المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

---

(١) انظر : مقدمة التفسير لابن تيمية، تحقيق الدكتور : عدنان زرزور.

وقوله ﷺ : «مَنْ أحدَثَ فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»(١).

٦ ـ معرفة الشبهات المثارة حول السنة النبوية والرد عليها :

ويحرص المسلم كذلك على معرفة الشبهات المثارة حول السنة النبوية والرد عليها لتبقى ثقته بها متينة فى نفسه، وليتمكن من حماية الآخرين من الانسياق وراءها، والتأثر بها، مع يقينه أن أكثر ما يثار حول السنة النبوية اليوم قد أثير مِنْ قديم وفرغ العلماء من تفنيده، ودحضه، ولا جديد تحت الشمس.

وصدق الله الذى يقول :

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ [الذاريات] .

ومن الكُتب النافعة فى ذلك : «الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة المحمدية من الزلل والتضليل والمجازفة»، للشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى ت١٣٨٧هـ، و« دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين » للشيخ محمد محمد أبى شبهة، و«الرسالة» للإمام الشافعى ت ٢٠٤هـ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. . وغيرها من الكتب.

٧ ـ إبلاغ السنة فى حدود الطاقة والوسع :

وأن يقوم بإبلاغ السنة فى حدود الطاقة والوسع، وأولى الناس بذلك الأقارب من الأهل والأولاد، والأبوين، وباقى الأقارب والخدم، والأقران، والجيران، مستخدمًا فى ذلك كل الأساليب والوسائل من: الأسوة والقدوة، والكلمة مكتوبة، ومسموعة، والحوار الهادئ الهادف، وإلقاء الأسئلة المفيدة النافعة، وكتابة البحوث، وعقد المسابقات، وتقديم الأعطية والهدايا على أن يستحضر المسلم نيَّة الامتثال لأمر الله ورسوله بالبلاغ، وعدم كتمان العلم.

إذ يقول النبى ﷺ : «ليُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشاهدَ عسى أن يُبَلِّغ مَنْ هُوَ أوعَى له مِنه» (٢) .

---

(١) حديث العرباض بن سارية .

(٢) سبق تخريجه .

٨ ـ الإفـادة من التقنيـة الحديثة فى حفظ السنة :

وعلى المسلم التعرف على كل أساليب التقنية الحديثة من الكاسيت، والحاسوب، وشبكات الإنترنت، ونحوها، والجهود التى بُذلتْ للإفادة منها فى حفظ السنة النبوية، وما يمكن إضافته إلى هذه الجهود سواء فى مجال التخريج والدلالة على مواضع الحديث، أم فى مجال تمييز مقبوله من مردوده، أم فى مجال شرحه وفنهه، أم فى مجال حفظه واستذكاره، أم فى مجال الدعوة إليه، أم فى مجال رد الشبهات ودحض الأباطيل، أم فى مجال التعريف برواته، ومروياتهم... وهكذا.

٩ ـ تقدير كل جهد يبذل فى حفظ السنة مع التشجيع :

وأخيرًا.. ينبغى على كلٍّ مسلم تقدير أىِّ جهد يبذل ولو كان بسطًا فى حفظ السنة، مع تشجيع القائمين به بكل طرق التشجيع الممكنة، من لفت نظر إلى هذه الجهود، والتعرف على أصحابها، والدعاء لهم أحياء وموتى.

وبعدُ.. فلو أحسن كل مسلم الأخذ بهذه الخطوات، وتطبيقها بأمانة ودقة، لشاعت السنة النبوية فى حياة الأمة، وسعد الجميع : أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين، صغارًا وكبارًا، رجالا ونساءً، والله يهدى مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم.

* * *